عن اوراق

تعد أوراق البردى العربية من أهم المصادر التى تعين على دراســة تاريخ الأمة العربية فى حقبة معينة من الزمن ، وحينما تحدد تلك الحقبة وتندر المصادر المعينــة على دراستها تصبح أوراق البردى العربية أهم المصادر : ذلك أن العرب منذ دخلوا مصر فاتحين فى السنة الثامنة عشرة للهجرة (١) والى ما بعد ذلك بحوالى ثلاثــة قرون من الزمان ، لم يتصــد لتاريخ هذه المدة مؤرخ ثبــت ، حتى قام ابن عبد الحكــم فدون كتابه « فتوح مصر » (٢) وقد عاش منتصف القرن الثالث الهجرى • ويعتبر ــ بحق ــ أول مؤرخ معتمد سجل أحداث فتح العرب مصر• وابن عبدالحكم ــ حين أرخ للفتح ــ سار على نهج المؤرخين الذين سبقوه ، فقد كان ــ أولا ــ عالما بالحديث ، ثم أرخ للفتوح وبعده بدأ المؤرخون يسجلون ومصدرهم « فتوح مصر لابن عبد الحكم » •

غير أن أوراق البردى العربية التى عرفت فى الربع الأول من القرن التاسع عشر الميلادى (٣) جاءت أصولا ومصادر لتاريخ العرب فى مصر أول الفتح وقرونا هجرية بعده يقرب عددها من أربعة ، وهى أوراق البردى المصرية التى كتب عليها العرب منذ دخولهم مصر أو كلفوا عمالهم الأقباط الكتابة عليها ، حملت نصوصا عربية لم تكن تحملها الأوراق من قبل•فاوراق البردى كتب عليها المصريون منذ حوالى خمسين قرنا من الزمن (٤) بلغتهم المصرية القديمة (٥) ثم كتب عليها اليونان بلغتهم اليونانيــة



د. عبد العزيز الدالي

الأستاذ بكلية اللغة العربيـــة جامعــــة الامام محمدبن سعود الاسلامية بالرياض

البردى العربية

وكتب الأقباط بلغتهم القبطية حتى جاء العرب فكتبوا باللغــــة العربية ، بل كانت الكتابات الأولى ـ أول الفتح ـ باللغات الثلاث جميعا (اليونانية والقبطية والعربية) على الورقة الواحدة فى كثير من الأحيان ، الى أن عربت الدواوين فى مصر سنة ٨٦هـ (٦) ومن ذلك الوقت صارت الكتابة باللغة العربية فحسب الا الأعداد وكسورها التى لزمت فى الأعمال الحسابية فقد كانت تكتب كما كانت تكتب فى اللغة اليونانية .

هذه الأوراق البردية صنعت من سلائخ ساق نبات البردى الذى ينمو فى المستنقعات والمياه الملحة ، وهو نبات أفريقى بعامة ومصرى بخاصة (٧) ، هذه السلائخ من تقطيع ساق ذلك النبات يضم بعضها الى البعض الآخر وتلصق وتجفف وتحك حتى تصـــقل فتصير قطعا تلصق وتسمى أدراجا وتقطع منها أوراق حسب المساحات المطلوبة ليكتب عليها ، (٨) وقد صنعها المصريون وصدروها الى الأمم الأخرى حين كانت تحتل أوراق البردى المكانــة التى يحتلها الورق اليـــــوم (٩)

وحين أخرجت الكشوف أوراق البردى كانت عليها كتابات باللغات المصريـــــة القديمة واليونانية والقبطية ، ونشأت حولها دراسات سميت بعلـــم البرديات وكان مفهوم هذا العلم يصدق على البرديات بتلك اللغات فحسب ، وحينما ظهرت البرديات العربية تغير المفهــــوم أو اتســـع ليشمل هذا النوع الأخــــير منهـــا .

وتحمل هذه البرديات العربية نصوصا على جانب كبير من الخطر ، وهي كثيرة لم ينشر منها الا القليل ، والحديث عن النصوص العربية على أوراق البردى لا يمكن أن يتصف بالشمول ولا يدل على الاحاطة لأن العدد التقريبي لهذه الأوراق يبلـــــغ ستة عشر ألف بردية (١٠) كانت كلها بمصر ثم خـــرج العدد الأكبر منها من مصر شراء أو غير شراء ، ولم يبق بمصر الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية والباقي موزع بين مكتبات العالم في آسيا وأوربا وأمريكا بجامعاته ومتاحفه ودور الكتب العامة به ، ولم يعن بنشره الا عدد قليل من العلماء والباحثين : فلم ينشر من الستة عشر ألــف بردية الا ما يقرب من ثلاثة آلاف بردية ومن الثلاثة آلاف أقل من ألــف من مجموعة مصروالباقي لايزال مطويا، ونصف عدد الأوراق تقريبا تملكه مكتبة فينا بالنمساالتي تضم ثمانية آلاف بردية عربيـــــة ٠

وهذه الأوراق ـ الا ما ندر منها ـ مفرقة ، والعدد الأكبر منها مقطع وممزق والكتاب الكامل العربي الوحيد ـ حتى الآن ـ المكتوب على أوراق البردى هو كتاب في الحديث النبوى الشريف لأبى محمد عبدالله بنوهب الفهرىالمولود حوالى سنة ١٢٥هـ وقد عثر على الكتاب في ادفو بصعيد مصر ويشمل كتاب الأنســاب وكتاب الصـــمت وكتاب أجناس من بنى اسرائيل من جمع عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، وقد نشره وعلق عليـــه دافيد فيـــل .David Weill وصدر ضمن مطبوعات المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية بالقاهرة وطبع بمطبعة المعهد سنة ١٩٣٩ م ٠

والبرديات العربية التى نشرت تحمل نصوصا تصور حيـــاة العرب في مصر ـ أول الفتح ـ أصدق تصوير : فمنها معاملات يومية من عقود للبيع أو للايجـــار ومعاملات اجتماعية من عقود للزواج أو للطـــلاق ، وما تشتمل عليه هذه العقود من توصية الزوجين بالمعاشرة بالمعـــروف أو التسريح باحســـان ، والتزام أوامر الله سبحانه ، واتباع سنة نبيه صلوات الله عليه ، وعلاقات بين الحاكم والمحكوم من طلب لسداد الضرائب ، أو مطالب المحكومين الى الحكام وتوصية الحكام الكبار لمن هم دونهم في الحكم ، بالمحكومـــين : ليلتزموا معهـــم الرفق ويحكموا بالعـــدل ، ومواثيـــق من الفاتحين العرب قبل الناس بالحق والقسطاس ٠ ويفطن القارىء المعنى باللغة الى ذلك النمط الذى صاغته تلك النصوص وما ضمت من لهجات للقبائل العربيـــة التى جاءت الىمصر منأنحاء الجزيرة العربية المتفرقة (١١) تتعامل لغويا بلهجاتها الخاصة لاسيما وأن عمرو بن العاص قائد الجيش العربى الفاتح أنزل العرب بمصر مجموعات متآلفة ، أنزلهم خطط الفسطاط حيثعاشوا مجموعات متفاهمة ، فحافظت على لهجاتها وعاداتها وتقاليدها التى جاءت بها من الجزيرة العربية ، كما يفطن ـ من خـــلال تلك النصوص الى اختلاط اللهجات بعد مدة معينة من الفتـــح ، وقد اختلطـــت اللهجات العربية فيما بينها ، ثم باللغة القبطية ، وبرواســـب اللغتـــين اليونانية والفارسية ، وكونت من ذلك وفي قالب الطبيعة المصرية لهجة هي أســـاس اللهجـــة القائمة في مصر اليوم ، كما يلمس تأثر لهجات العرب بهذا الاختلاط أيضا ، هـــذا الاختلاط الذى قوى أواصره الامتزاج والتعامل والمصاهرة بين العرب وبين المصريين

فحين انتقلت اللغة العربية الى مصر ، استطاعت أن تغزو مصر كما غزاها العرب ، وأن تستقر بها كما استقر العرب ، واضطر المصريون الى أن يحذقوا العربية ، فلم يمض الا وقت يسير حتى ألف الآباء البطاركة كتبهم بالعربيـــة مثل ابن البطـــريق رئيس الكنيسة وساويرس بن المقفع صاحب سير الآباء البطاركة وغيرهما (١٢) وبعد الفتح العربى كانت اللغة العربية ـ أول الامر ـ في حيز محدود في مصر يتكلمها العرب ومن جاورهم من المصريين الذين اضطروا بحكم الجوار الى أن يختلطوا بالفاتحين وأن يعرفوا لغتهم ، ثم ادخلت الاصطلاحات العربية في الدواوين فاضطر المصريون الى أن يعرفوا لغة العرب ، كما كان لانتشار الدين الاسلامي في مصر أثر كبير في نشر اللغة العربية بين المصريين ، اذ اضطر من أسلم منهم الى أن يتعلم اللغة العربية حتى يســتطيع أن يقرأ القرآن الكريم وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم والى أن يفهـــم دروس الفقه ـ وكان العرب يخرجون من رباطهم في الربيع ويتصلون بالمصريين في الريـف فكان ذلك من أسباب انتشار اللغة العربية بين الشعب حتى اضطر المصريون الى أن تقل عنايتهم باللغة القبطية (١٣) ، وانتشرت اللغة العربية في مصر حتى ذبلت اللغة القبطية ذاتها وتركها المصريون واهملوا شانها حتى في أحوالهم الخاصة ، وذاعـــت لغة العرب وفشت في البلاد فبدأت منقوشة على النقود التي ضربت أول مرة سنة ٧٥ هـ واتخذت في الدواوين وكتابة الحكام ، وأول كتابة الدواوين باللغة العربيــة كان في سنة ٨٦ هـ (١٤) ، وكتب القديس شنودة مؤلفاته باللغة القبطية ثم اضطر الى أن يكتبها مرة أخرى باللغة العربية حتى يتسنى للاقباط أن يقرءوها ، وبعد أن كانت مراسيم الكنيسة تقرأ باليونانية وتشرح بالقبطية ثم صارت بالقبطية فقط ـ قرءوها بالقبطية وشرحوها بالعربية وازداد الحاح الناس في ترجمة الكتب الدينية من اللغة القبطية الى اللغة العربية (١٥) ـ وبعد الفتح أسرع الانحلال الى الحضارة الرومانية الاغريقية التى كانت بمصر ولم تمح اللغة القبطية واليونانية دفعة واحدة بل قـل استعمالهما تدريجا وحلت محلهما اللغة العربية والآداب العربية سائرة بخطى وئيدة، فقد روى عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه أمر باحضار جماعة من فلاسفة اليونانيين ممن كان ينزل مدينة مصر وقد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليونانى والقبطى الى العربى وأن هذا أول نقل في الاسلام من لغة الى لغة (١٦)

وتأثرت اللغة العربية بالاصطلاحات المصرية فالمصريون هم الذين يحددون الجهات بالبحرى والقبلى ولا يقولون الشمالى والجنوبى (١٧) ، وعرف كثيرون من العرب اللغة القبطية وتخاطبوا بها فقد قيل ان البطريق يوسف عندما حوكم ســـنة ٨٥٠ م خاطب رعيته باللغة القبطية بحضور عدد كبير من العرب ، وفهم العرب كل ما قاله وحدثوا به القاضى (١٨) ، وروى في أخبار القاضى خير بن نعيم أنه كان يسمع كلام القبط بلغتهم ، ويخاطبهم بها وكذلك شهادة الشهود منهم ، ويحكم بشهادتهم ٠

كما روى في خبر خروج العلويين بالفسطاط سنة ١٤٥ هـ أن ابن حديج وقف على الباب الذى ناحية بيت المال فكلم خـالد بن ســـعيد وهو فـــوق ظهـــر المســـجد كلمـــة قبطيـــــــة (١٩)

وزاد اختلاط العرب بالمصريين وتزوج العرب من نساء مصريات ، فلم يمض الا زمن بعد الفتح حتى تكون في مصر شعب اسلامي عربي (٢٠) وكان نتيجة هـذا الاختلاط أن نشأت لهجة للتفاهم بالعربية وكانت أساسا للهجة المصريين في استعمالهم اللغـــة العربيـــة اليـــوم .

ومن ملامح هذه اللهجة تلك التي ظهرت واضحة في نصوص أوراق البـــردى تخفيف الهمز في لهجة المصريين وكانت هذه الظاهرة واضحة في لهجة الحجـــازيين في العصر الجاهلي ، وكسر حرف المضارعة في لهجة المصريين جاءهم من لهجـــة القبائل اليمنية الوافدة من الجزيرة العربية وملامح أخرى متنوعة تحتويها بحوث قائمة تدل على أن المصريين اختاروا ـ فيما اختاروا ـ من ظواهر لهجات القبائل العربية التى وفدت الى مصر ما وافق طبيعتهم وكونوا به لهجتهم التى لا تزال قائمة حتى اليوم ، أما لبناتها وأصولها فمرسومة في نصوص أوراق البردى العربية من قبل القرن الثانى الهجـــرى .

وفضلا عن بعض الملاحظ اللغوية ، فان نصوص أوراق البردى العربية تدل على عدل العرب في حكمهم مصر ، ورفقهم بمحكوميهم ، وتقوى الله فيهم في تلك المدة من الزمان ـ ومن أوثق الأدلة ما كتبه القائد الأمير العربي على نفسه حين دخل بجنـوده وقد نفد زادهم فطلب الأمير من عاملي الوالى شياة يأكلها جنوده وكتب على نفسه مهدا بمـا أخـذ ومـا قـــال :

بسم الله أنا الامير عبد الله أكتب اليكما خريسطقورس وتيود وراكيوس عاملي هـــيراكليوبولـــس

لامداد المسلمين الذين معى ، أخذت ٦٥ (خمساوســـتين) شـاة فقـــط في هـــراكيـــوبولـــس .

بلا زيادة ولا يضاح ذلك حررت هذا الاقرار وكتبته أنا حنا العمدة والشماس في ٣٠ برمودة من السنة الاولى من البريديوس الأول .
ثـم قـــــــــــال :

عـــــن أوراق

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أخذه عبد الله ابن جابر وجنوده من الشياه المخصصة للذبح في هيراكليوبولس أخذنا من هذه الشياه خمسين .

من نائب تيود وراكيوس الابن الثانى للانبا كيروس ومن وكيل خريسطقورس اكبر أولاد الانبا كيروس ثم .

خمس عشرة شاة أخرى أعطاها لتذبح لحاشيته في مراكبه وخيالته والراجلين المدرعين .

تحرر في شهر جمادى الأولى من سنة اثنتين وعشرين . كتبه ابن حديدة . وتنطق كلمات هذه الوثيقة بعدل الأمير القائد العربي واعترافه بالحق وهى في غنى عن التعليق في هذا المقام .

وتعتبر هذه البردية أقدم بردية عربية حتى الآن وهى مؤرخة سنة ٢٢ هـ (٢١) وواحدة من مجموعة الارشيد وق رينر بالنمسا .

هذه الأوراق البردية تصور الحياة العربية المصرية ـ أول عهدها ـ أصدق تصوير لأن نصوصها كتبت بالحاح أمور الحياة ، واستجابة لضروراتها ـ ولم يقصد فيها الى تاليف ، وما يلزم التاليف من اختيار وتنسيق ، انما كتبها الناس وهم على طبيعتهم فصورت حياتهم أصدق تصوير .

والأمل معقود على أن تقرأ بقية الأوراق ـ وحينئذ تتضح معالم هذه المدة في تاريخ الامة العربية ، بل تضاء جوانبها ومداخلها وتنكشف حقيقتها باوثق الأدلة وأقوى البراهين .

دكتور

عبد العزيز الدالى

المـــــراجـــــــــــع

١ ـ بتلر ، فتح العرب لمصر ، عربه محمد فريد ابو حديد » ط دار الكتب بالقاهرة ١٩٣٥ م ص ١٥٦

٢ ـ ابن عبد الحكم ، فتوح مصر ، نشر ترى ، ط ليدن ١٩٢٠ م ص ٤٦

٣ ـ Grohmann. A, From the World of Arabic Papyri, Cairo, 1952 p. 8,10

٤ ـ نجيب ابراهيم ، مصر والشرق الادنى القديم ، ط الاسكندرية ٣٣/١

٥ ـ سليم حسن ، الأدب المصرى القديم او ادب الفراعنة ط القاهرة ١٩٤٥ م ٢٧/١

٦ ـ السيوطى ، حسن المحاضرة ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢

٧ ـ ا ـ ابن البيطار ، الجامع لمفردات الادوية والاغذية ط القاهرة ١٢٩١ هـ ٨٧/١

Winter, J, Papyrology (its Contributions and Problems) Michigan Alumnus. Quarterly Riview, Summer 1936. vol 42 No 23 P. 234

٨ ـ Pliny, Natural History vol 4 translated by H.Hackim, London 1952 P. 234

Lucas .A, Ancient Egyptian Materials and Industries, London. 1934

٩ ـ Grohmann. A, From the world of Arabic Papyri, Cairo, 1952 P. 1

١٠ ـ Grohmann. A, Allgemeine Einfuehrung in die ara-arabisehen Papyri, Wien. 1924

١١ ـ عبد الله خورشيد البرى ، القبائل العربية بمصر واثرها فى الأدب فى القـرون الثلاثة الاولى للهجـــرة رســـالة ماجســـتير ١٩٥٦ م

١٢ ـ محمد كامل حسين ، فى الادب المصرى الاسلامى ط القاهرة ١٩٣٩ م ص ١٣

١٣ ـ المرجـــــع نفســـــه ص ٣٠ ، ٣١

١٤ ـ السيوطى ، جلال الدين ، حسن المحاضرة ، ط القاهرة ١٢٩٩ هـ ٢٢٦/٢

١٥ ـ محمد كامل حسين ، فى الادب المصرى الاسلامى ط القاهرة ، ١٩٣٩ م ص ٣١ ـ ٣٣

١٦ ـ ابن النديم ، الفهرست ، نشر فلوجل ط ليبزج ١٨٧١ م ص ٢٤٢

١٧ ـ المقريزى ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ط القاهرة ١٢٧٠ هـ ٢٣/١

١٨ ـ Quatremére, Rechérche sur la Langue et la Littérature de L'Egypte, Paris 1808 p. 34

١٩ ـ الكندى ، الولاة والقضاة ، نشر جست ط بيروت ١٩٠٨ م ص ١١٣

٢٠ = Lane Poole, History of Egypt in the Middle Ages, London 1925 P. 15

٢١ ـ Grohmann. A. Apercu de papyrologie arabe, études de papyrologie, Sociéte Royale Egyptiènne de Papyrologie. Tome 1 1e Caire 1932 P. 28.